Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة

Journal of University Studies for Inclusive Research

Vol.6, Issue 10 (2022), 7970 - 7993

USRIJ Pvt. Ltd.,

تاريخ اسبانيا من خلال جدلية الفعل السياسي والفعل الرياضي إبان عهد فرانكو (1939م / 1975م)

The history of Spain through the dialectic of political action and sporting action during the Franco era (1939/1975)

الدكتور أمزيغ عبد اللطيف Amazigh Abdellatif
أستاذ باحث في التاريخ الجهوي للجنوب المغربي، وقضايا واشكالات منظومة التربية والتكوين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب.

Amazigh10abdellatif@gmail.com

الدكتور عبد اللطيف اسبيرتو Abdellatif Sbiritou
أستاذ بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين جهة، فاس/ مكناس، المغرب.

abdellatifsbiritou@hotmail.com

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة

الملخـــص

يكمن الهدف النهائي المراد تحقيقه من وراء هذا العمل العلمي، نفض الغبار على مرحلة هامة من تاريخ كرة القدم الاسبانية، والتي تميزت باستغلال وتوظيف النظام الديكتاتوري على عهد فرانكو (1939- 1975) لرياضة كرة القدم باعتبارها الرياضة الأكثر شعبية بالبلاد، قصد الدعاية (البروبكاندا)، وتلميع طبيعة النظام الفاشي الذي هيمن على مختلف مناحي الحياة في اسبانيا طيلة ستة وثلاثون (36) سنة من الحكم، حيث تميزت هذه المرحلة بإعادة هيكلة البطولة الوطنية لكرة القدم، بالتحول نحو الاحترافية كمحاولة لتحقيق العصرنة وردم وتجاوز الفارق الذي كان يفصل اسبانيا عن غيرها من بلدان أوربا الغربية المتقدمة في هذا الميدان، إذ عمد النظام السياسي الإسباني على دعم الأندية الرياضية مثل النادي الملكي، وتحويلها إلى أجهزة دعائية للوطنية الفرنكاوية وضرب كل حركة جهوية ذات أهداف سياسية انفصالية (كاطالونيا والباسك على وجه الخصوص). ولبلوغ هدفنا، اطلعنا واعتمدنا مجموعة من الدراسات الأكاديمية وبعض الجرائد التي عاصرت هذه المرحلة التاريخية، أو التي صدرت في فترة متأخرة وأسهمت في توضيح خصوصية التحولات السياسية التي طرأت على أرض اسبانيا في علاقة مع الانتعاش الكروي الذي عرفه هذا البلد الأوروبي، الذي استثمر الرياضة لخدمة أهدافه وطنيا ودوليا.

الكلمات المفتاحية : كرة القدم، الفرنكاوية، الوطنية، الفاشية، النازية، الاحترافية، النزعات الانفصالية.

Abstract

The ultimate goal of this study is to shed light on an important stage in the history of Spanish football, which was characterized by the exploitation and employment of the dictatorial regime during the Franco era (1939-1975) for the sport of football as the most popular sport in the country, with the intention of propaganda and polishing the nature of the fascist regime that dominated various aspects of life in Spain during the thirty-six (36) years of rule, This stage was characterized by the restructuring of the national football championship, a shift towards professionalism as an attempt to achieve modernization and bridge and overcome the difference that separated Spain from other advanced Western European countries in this field, as the Spanish political system supported sports clubs such as the Royal Club, and transformed them into Propaganda devices for Francoist patriotism and attacking every regional movement with separatist political goals (Catalonia and Basques in particular). To reach our goal, we reviewed and approved a set of academic studies and some newspapers that were contemporary to this historical stage, or that were issued in a late period and contributed to clarifying the specificity of the political transformations that occurred on the land of Spain in relation to the football boom that this European country knew, which invested sports to serve its goals. Nationally and internationally.

Keywords : football, francophone, patriotism, fascism, Nazism, professionalism, separatist tendencies.

مـقــدمـــــة

ضلت رياضة كرة القدم في جميع الأنظمة الشمولية والفاشية بأوروبا، من بين الوسائل الفعالة التي ارتكزت عليها الدعاية السياسية والاجتماعية والثقافية، فيكفي ملاحظة كيف دعم هتلر وموسوليني مختلف الرياضات لتقوية حكمهما ونظامهما. فبالنسبة لديكتاتورية الجنرال فرانكو، فقد استعمل رياضة كرة القدم لدفع مفهوم الوطنية إلى أبعد حد ممكن، وذلك أكثر مما قام به نظام ألمانيا النازية وايطاليا الفاشية؛ حيث تدخل فرانكو في كرة القدم بشكل مباشر ومقصود، لأن ديكتاتوريته دامت مدة طويلة (36 سنة) مقارنة بباقي نظرائه الأوروبيين، هذا بالإضافة إلى أنه في اسبانيا كان الانفصاليون الجهويون أكثر شراسة ووعي سياسي واجتماعي وثقافي، خاصة في منطقة غاليسيا، وبلاد الباسك، وكاطالونيا.

وفي هذا الإطار السياسي والرياضي في الوقت نفسه، اعتبر الفريق الوطني الاسباني نقطة أساسية ومعيارا وُظـف لتبييض" وتحسين صورة النظام الحاكم في البلاد، وذلك عن طريق المشاركة الرياضة على المستوى الدولي من خلال الفريق الملكي الذي استفاد من دعم فرانشيسكو فرانكو، هذا في الوقت الذي كانت فيه فرق اسبانية أخرى، تعاني إما في صمت من سياسته السلطوية السائدة، أو أنها مستفيدة من الوضع غير آبهــة لأحوال غيرها، أو أحوال المجتمع في علاقة بقضاياه ومشاكله المتعددة والمختلفة إبان هذه الفترة من تاريخ القرن العشرين الميلادي بإسبانيا.

✓ اشـكـالـيــة الـدراســـة الـتـاريـخـيــة:

بناء عليه، تبرز أهمية هذه المقالة التاريخية في ملامسة اشكالية تدخل نظام الجنرال فرانشيسكو فرانكو في تدبير شؤون رياضة كرة القدم، قصد خدمة الأجندة السياسية للدولة الاسبانية خلال فترة حكمه التي دامت مدة زمنية مهمة (1939م / 1975م)، حيث وظف واستثمر الفعل الرياضي ومختلف الآليات الممكنة لتحسين صورة وسمعة اسبانيا، ومواجهة معارضيه وخصومه السياسيين، سواء على مستوى الداخل (مثلا: الانفصاليون الباسكيون بالإضافة إلى الكاطـلان ...)، أو على مستوى الخارج (الاتحاد السوفياتي مثلا).

انطلاقا من ذلك كله، ترتكز معالجة هذه الاشكالية التاريخية على المستوى السياسي والرياضي في آن واحد، في سياق العلاقة الجدلية التي تجمع بين هاذين المفهومين، على دراسة نقطتين علميتين، نوردهما على الشكل الآتي:

- ✓ **الحرب الأهلية الإسبانية ما بين سنة 1936 ميلادية، وسنة 1939 ميلادية، وتأثيرها على ممارسة رياضة كرة القدم.**
- ✓ **تاريخ رياضة كرة القدم إبان فترة حكم الديكتاتور فرانشيسكو فرانكو، ما بين سنة 1939 ميلادية، وسنة 1975 ميلادية.**
- ✓ **<u>الهـــدف العلمـــي مـــن الـــدراســـة:</u>**

إن الهدف الذي تصبوا إليه هذه الدراسة العلمية، يتمثل في مناقشة حقيقة وظروف اشكالية تاريخية مرتبطة بفترة القرن العشرين الميلادي (20م)، ومازالت آثارها حاضرة في النقاش الحاصل والمُـثار من حين لآخر بين الباحثين ومختلف شرائح المجتمع؛ سواء الاسباني أو غيره في مجموعة من المناطق العالمية المتتبعة للشؤون التاريخية والثقافية الاسبانية، خاصة في البلدان المغاربية بحكم القرب الجغرافي والتاريخ المشترك بينها وبين اسبانيا؛ حيث أنه كلما حـلـت مُـناسبة سياسية أو رياضية أو اجتماعية في هذا البلد الأوروبي، إلا ويـتـــم استحضار الصراع الذي كان طـرفـاه الموالون للنظام الحاكم، والموالون للفكر الانفصالي من الباسكيين والكاطلانيين ...، خاصة الصراع ذي العلاقة التأثيرية التأثرية بين مفهومي السياسة والرياضة، هذه الأخيرة التي عمل فرانكو على التحكم فيها وفي مجمل أمورها وظروفها، بهدف توظيف ذلك في تأكيد وترسيخ نظام حكمه، الذي كان في حاجة ماسة إلى الدعم من قبل كل فئات وأطياف الشعب، وهو الدعم الذي وُجـــد في شغف الجماهير واهتمامها برياضة كرة القدم على وجه الخصوص، إذ تـــم استمالتها واستمالة فرقها وأنديتها بكل الوسائل والطرق المختلفة، قصد تحقيق هذا الهدف الذي تراجعت عنه بالاصطفاف إلى جانب المعارضة، لبناء مستقبل هذا البلد الأوروبي بعيدا عن مفاهيم التناحر والديكتاتورية.

إلى جانب هذا الهدف العلمي على المستوى التاريخي، نجد هدفا آخر في غاية الأهمية، حيث يبرز في ضرورة إعادة كتابة وقراءة العلاقة بين التاريخ السياسي والتاريخ الرياضي الإسباني، وهي العلاقة التي لم تكن محل اهتمام الباحثين والكتابات العربية على وجه الخصوص؛ وبالتالي يجب العمل على القيام بفعل تصحيح هذا الموضوع ودراسته، سواء داخل البنية الفكرية الاسبانية التي مازالت بدورها تتخبط في الوصول إلى حقيقته، أو داخل البنية الفكرية للبلدان الأخرى التي ترتبط تاريخيا وثقافيا بإسبانيا (المغرب نموذجا)، والعكس صحيح، وذلك بهدف تتمين التاريخ المشترك واقعيا وذهنيا، وفي الوقت نفسه توظيفه في بناء الحاضر والمستقبل، وترسيخ قيم التسامح ومبادئ الإنسان، ولن يتأتى ذلك إلا بضرورة نفي التعريف والوصف والتفسير والتركيب والتأويل غير العلمي لمفهوم التاريخ.

✓ **المنـــهـــج المـتبـــع فـــي الـدراســـــة:**

انطلقت الاجابة على اشكالية هذا المقال التاريخي من خلال اعتماد منهج علمي محكم؛ حيث تم الإطـلاع أولا على مجموعة مهمة من الدراسات والأبحاث العلمية، وتتبع وفهم سيرورة الحدث ونمط ومنهجية التفكير التي صاحبت دراسة ومناقشة تاريخ الصراع بيم مفهومي السياسة والرياضة، وذلك إلى حدود اليوم في إسبانيا وغيرها (المغرب نموذجا)، حيث مازال العديد من الأفراد والباحثين يناقشون المنافسة الرياضية بين الفرق الاسبانية بشكل مختلف ومتضارب من حيث المعطيات والمعارف، خاصة المرتبطة بلعبة كرة القدم التي تحتد فيها المنافسة كلما كانت المواجهة تجمع بين الفرق التي كانت تابعة للنظام الحاكم، والأخرى التي كانت معارضة له رياضيا أو سياسيا.

وبعد فهم الاشكالية نظريـا، سواء في الماضي أو في الحاضر، انتقلنا إلى اعتماد المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي في تقصي أحداث وظروف موضوع تاريخ اسبانيا من خلال جدلية الفعل السياسي والفعل الرياضي، وذلك إبان عهد الجنرال فرانشيسكو فرانكو خلال القرن العشرين الميلادي (20م)، وبالضبط في الفترة المتراوحة بين سنة 1936م وسنة 1975م، بالاعتماد على مجموعة من الدراسات العلمية خاصة الدراسات الاسبانية، باعتبارها معنية بالحدث، وفيها من عاصرته من قريب أو بعيد، كدراسة الباحث Raffaelli Verónica الموسومة بـ:

«Otro espacio de lucha. El fútbol en España durante la II República y la Guerra Civil».

وفي إطار المنهج المتبع، أعتمد أيضا في دراسة هذا المقال الذي توصل إلى بعض **النتائج، وفي الآن نفسه أوصى بتوصية علمية مهمة،** على استثمار مجموعة من الصور الفوتوغرافية التاريخية التي تعبر عن توظيف الجنرال فرانكو لرياضة كرة القدم، لتحسين وإعطاء صورة عن نظام حكمه، وخدمة أهدافه ومصالحه، سواء على المستوى الوطني أو على المستوى الدولي، خاصة بعد انتصاره وخروج اسبانيا من الحرب الأهلية (1936م / 1939م) التي خلفت عدة نتائج وخيمة أثرت على مختلف بنى هذا البلد الأوروبي.

1) الحرب الأهليـة وبدايـة الديكتـاتوريـة الفـرانكـاويـة: نحـو الـرفـع مـن شعبيـة ريـاضـة كـرة الـقـدم خـدمـة للأجنـدة السياسية:

هبـت على اسبانيا خلال العقد الثالث والرابع من القرن العشرون، رياح ديمقراطية انعكست آثارها أساسا على الميدان الثقافي والرياضي والاجتماعي، لارتباطها بظروف ومخلفات الحرب العالمية الأولى (1914م / 1919م)، حيث برزت في هذا الإطار رياضة كرة القدم كرياضة مفضلة لشرائح

واسعة من المجتمع الاسباني، هذا في الوقت تزامن فيه ذلك مع انتشار أشكال مختلفة من الترفيه الذي عم المدن الأوربية الكبرى، نتيجة التحولات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية والعلمية والتقنية التي واكبت الثورة الصناعية الثانية بأوروبا؛ فالطبقة العاملة الأوروبية نجحت في تحقيق العديد من المكاسب والنجاحات، بفضل تضحيات الحركة النقابية التي عملت على فرض شروط على أرباب المعامل وأصحاب الفكر الرأسمالي، منها تحديد ساعات العمل والرفع من الأجور وضمان استمرارها خلال العطل، مما أسهم في الرفع وتحسين نمط ومستوى المعيشة، الذي تتمثل أهم مظاهره في توفير مصاريف إضافية لأنشطة الترفيه والترويح عن النفس.

وقد شكلت كـرة القدم في هذا الإطار، أحد المجالات التي استقطبت الجماهير على مدرجات الملاعب التي انتشرت تدريجيا في مختلف المناطق والمدن الإسبانية، مما رفع من شعبية وأسهم هذه اللعبة التي نجحت في منافسة باقي العروض الرياضية وغيرها (مصارعة الثيران مثلا). حيث استفادت من الانفتاح الديمقراطي الذي عرفته اسبانيا على المستوى السياسي خلال هذه المرحلة التاريخية من القرن العشرين (20م)، مما نتج عنه فسح المجال لما سمي عند رفاييل فيرونيكا Raffaelli Verónica **"علمنـة لحظـات ومجـالات أوقـات الفـراغ"** (Raffaelli, Verónica, 2017, 06)؛ إذ في الوقت الذي ارتبطت فيه أوقات الترفيه في النظام سابقا بالمناسبات الدينية أساسا، تحول صخب الجماهير الاسبانية تدريجيا يوم الأحد من حضور وممارسة طقوس القداس بالكنائس، الى حضور وممارسة طقوس لعبة كرة القدم في الملاعب والفضاءات الرياضية المختلفة، مما أدى إلى الحديث عن مفاهيم جديدة للتحديث، سواء على المستوى الاجتماعي أو الفكري انطلاقا من ثقافة الميدان الرياضي.

1-1) تـاريـخ ريـاضـة كـرة الـقـدم فـي ظـل ظـروف الـحـرب الأهـلـيـة الإسـبـانـيـة (18 يوليوز 1936م / 01 أبريل 1939م):

اعتبرت الرياضة واحدة من أكثر الأدوات فعالية، لدعم الدعاية والايديولوجية السياسية لمختلف الأنظمة الديكتاتورية التي نشأت في أوروبا خلال الفترة المعاصرة؛ فيكفي أن نلاحظ كيف حاول أدولف هتلر استغلال الألعاب الأولمبية ببرلين سنة 1936م لتلميع صورة ألمانيا تحت نظام حكمه، بالإضافة إلى الدعم السخي الذي قدمه موسوليني لمختلف الرياضات، بهدف الترويج لخطاب السلطة النموذجية حسب توجهاته ومبادئه الفاشية. أما ديكتاتورية فرانشيسكو فرانكو في إسبانيا، فقد استخدمت كرة القدم للدفع بالنزعة القومية إلى أبعد الحدود التي يمكن أن تقضي وتقوض التوجه الانفصالي داخل الدولة الاسبانية، خاصة في منطقة غاليسيا وبـلاد الباسك وكـاتـالـونـيـا.

وفي هذا الإطار السياسي الرياضي خلال القرن العشرين (20م)، كان المنتخب الإسباني نقطة رئيسية أسهم في نقل سياسة النظام الإسباني من المستوى الوطني إلى المستوى الدولي من خلال الفريق الملكي، هذا في الوقت الذي كانت فيه بعض الفرق الأخرى تعاني أو تستفيد من السياسات الاستبدادية والتميزية التي كانت سائدة بمختلف الطرق والأشكال، وذلك اعتمادًا على قرارات القائد كوديللو (caudillo)؛ بمعنى أن جميع الفرق كانت تستفيد من دعم النظام الديكتاتوري، ولكن بدرجات متفاوتة ومتباينة حسب علاقة النظام الحاكم بالمنطقة التي ينتمي إليها هذا الفريق أو ذاك، وذلك في محاولة للحد من قوة الحركات الانفصالية المعارضة عن طريق دعم الرياضة، وإقامة البنيات التحتية الرياضية (مثال: إقامة ملعب نيو كامب في برشلونة) التي من شأنها استمالة الجماهير الشعبية وإبعادها عن تبني الفكر السياسي، الذي يمكن أن يزعزع النظام السياسي القائم في البلاد.

وفي هذا السياق، حاول كلا المعسكرين المتحاربين[1] خلال الحرب الأهلية (1936م / 1939م) استغلال ثقافة ميدان الرياضة، وخاصة لعبة كرة القدم لتحقيق مكاسب سياسية واجتماعية على وجه الخصوص، وذلك في ظل قلة التمويل الذي كانت تعاني منه الأندية والفرق الرياضية الاسبانية، وهو الواقع الذي أثـــر على القضية الإسبانية والمسار الذي كانت تتجه إليه، حيث ثم إثارة ذلك من طرف العديد من منظمات المجتمع المدني، وخاصة ذات التوجه اليساري التي أشارت إلى أهميتها، وبالخصوص عندما اندلع الصراع المباشر مع قوات الجنرال فرانشيسكو فرانكـــو؛ إذ أسهمت ظروف الحرب الأهلية في إنشاء العديد من الهيئات والمنظمات الرياضية التي شكلت قنوات بديلة للتواصل الاجتماعي والسياسي، وذلك بعد أن أسهمت ومكنت من الوصول إلى شرائح اجتماعية واسعة، قصد إقناعها بإيجابيات التوجه الديمقراطي وأهميته، وحملت هذه الحركة اسـم: **الرياضة الشعبية** (Raffaelli, Verónica, 2017, 06 – 13) ، بينما أسهم العديد من الرياضيين في تشكيل لجان عمالية ونقابية، انبثقت

---

[1] - يمكن الحديث عن هاذين المعسكرين من خلال **الجمهوريون** الموالون للحكومة الاسبانية الشرعية، الذين كانوا يتكونون من قوات ومليشيات متعددة إلى جانب متطوعون من أنحاء مختلفة من العالم، إضافة إلى قوات من الجيش الإسباني المدعومة من الاتحاد السوفياتي، بهدف الدفاع عن الديمقراطية ورفض الإنقلاب الفاشي الذي تبناه فرانشيسكو فرانكو والأحزاب اليمينية له، حيث يسمون جميعا في دراسات تاريخية مختلفة **بالمتمردين أو القوميين أو العسكريين الإنقلابين**، الذين دعمتهم الكنيسة الكاثوليكية وألمانيا الفاشية وإيطاليا الموسولينية، بالإضافة إلى الدعم الكبير الذي جاء من ديكتاتور البرتغال أنطونيو سـالازار، وهو ما مكن الجنرال فرانكو في نهاية الأمر من تحقيق الانتصار السياسي والعسكري، وذلك لأسباب متعددة خاصة المرتبطة بالجانب التنظيمي والتقني. للمزيد من التفاصيل التاريخية حول هذا الموضوع، راجـع على سبيل المثال لا الحصر:

- ✓ خوليان، كازانوفا، (2017)، **"الحرب الأهلية الاسبانية"**، ترجمة: عمر التـل، نشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى.
- ✓ زيادة، طارق ، (1986)، **"صفحات من الحرب الاهلية الاسبانية"**، الناشر : جروس برس، طرابلس، لبنان، الطبعة الأولى.
- ✓ الأهواني، أحمد فؤاد، (1938)، **"الحرب الإسبانية"**، مطبعة دار النشر، مصر، الطبعة الأولى.

عنها نوادي رياضية في العديد من المناطق التي سيطر عليها الجمهوريون المعارضون للجنرال الديكتاتوري.

على العموم، يمكن القول أن الرياضة كانت جزءًا مهما من التناقضات التي طبعت الصراع بين المعسكرين الجمهوري والوطني بقيادة فرانكو خاصة على المستوى الدولي؛ وذلك من خلال التمثيل الإسباني في المسابقات والمحافل الدولية، حيث شجع الجمهوريون الرياضيين في مختلف التظاهرات العالمية بهدف تعزيز انتشار القضية الجمهورية الاسبانية، والعكس صحيح بالنسبة للموالين للجنرال الديكتاتوري، إذ عملوا بقوة على تقويض مفاهيم الانفصال داخل الدولة ونشر الفكر الديكتاتوري.

بعد الحرب الأهلية، وفي ظل نظام فرانشيسكو فرانكو، اعتمدت رياضة كرة القدم وسيلة لتحقيق مفاهيم الوحدة والاندماج في البلاد الإسبانية، وأصبحت كذلك تربية مدنية وسياسية تلقن للشباب، وهذا ما يعني أن الرياضة أصبحت وسيلة للدعاية الإيديولوجية، بهذا المعنى، فمفهوم الوحدة الوطنية والآليات المعتمدة لترسيخه، أضحى يتجاهل التباينات الموجودة في المجتمع الاسباني على جميع المستويات؛ فاستغلال رياضة كرة القدم يؤمن تدبير وظيفة الدولة الجديدة عن طريق إعادة إحياء الأفكار الفاشية مثل الطاعة والقهر، والانضباط العسكري، وهو الواقع الذي يحث على تجاهل مفهوم الاختلاف الذي تحتضنه الديمقراطية الحقيقية، سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي أو الفكري أو الثقافي.

في ظـــل هذه الوضعية السياسية والرياضية إبان نهاية الحرب الأهلية (1939م)، فقدت الأندية والفرق الاسبانية استقلالها وحيادها، وأصبحت مجرد ملاحق تابعة للمؤسسات الرسمية للدولة وقراراتها التي تخدم مفاهيم الوحدة وتنفي مفاهيم الانفصال خاصة عن الكطالانيين والباسكيين.

إلا أنه سرعان ما استعادت الفرق والأندية حالتها ومستويات حضورها وتوهجها، الذي تميزت به قبل اندلاع الحرب الأهلية، سواء على المستوى الوطني بتعدد الهيآت المشرفة على تدبير اللعبة وتقنينها، أو على الصعيد الدولي، حيث تم الاعتراف بالمجلس الوطني للرياضة للإسبانية من قبل الفيفا (الاتحاد الدولي لكرة القدم)، كما تم الاعتراف بالفيدرالية الوطنية الإسبانية بصفتها الممثل الشرعي لكرة القدم بإسبانيا (للتوسع في ظروف هذا التطور التاريخي على المستوى الرياضي، راجع الرابط العلمي التالي: www.conquistalahistoria.com/author/ricardo-romaniega)، وهي التي عينت لجانا للتطهير والمراقبة والتقنين؛ إذ ارتكزت مهامها على معاقبة اللاعبين والمدربين والحكام الذين يظهرون ولائهم للنظام الجمهوري السابق، كما حـــذر خوصي ماريا ترونكوسو José María Troncoso (جنرال عسكري، وفي الوقت نفسه رئيس الفيدرالية الاسبانية لكرة القدم) من مسألة مهمة

تتمثل في أن الفيدراليات المحلية وأندية كرة القدم لها طابع مستقل ومحايد، وطالب أن يكون للاعبي كرة القدم امتيازات مماثلة للجنود (Eduardo, Gonzalez Calleja, 2014, 283).

2-1) رياضة كرة القدم الاسبانية، وبدايات الديكتاتورية الفرانكاوية انطلاقا من 01 أبريل 1939م:

منذ سقوط الجمهورية الإسبانية الثانية عام 1939م، هيمن فرانشيسكو فرانكو على نظام الحكم من جميع النواحي؛ ففي الميدان الرياضي، وبالضبط رياضة كرة القدم، لعب هذا الديكتاتور عدة حيل لكسب تعاطف الناس وانخراطهم في سياسته وايديولوجيته؛ ومن بين هذه الحيل نجد إحداثه لعدة تغييرات ملحوظة، من بينها وأهمها إعادة تسمية بطولة كأس الملك لتحمل اسم كأس الجنرال (Generalissimo)، والتي غدت أهم تظاهرة رياضية اسبانية في كل موسم رياضي.

غير أن أبرز انعكاسات الديكتاتور ونزعته الوطنية في الرياضة، ستبرز بشكل جلي في تدخله في أنشطة المنتخب الوطني الإسباني؛ ففي سنة 1942 ميلادية، وعلى إثر المباراة التي أجريت بمدينة برلين بين منتخب ألمانيا النازية ومنتخب إسبانيا الفرانكاوية، فقد استغلها هذان الطرفان السياسيان لإبراز مدى تحالف نظامهما السلطوي، ومدى توافقهما لتحقيق مصالحهما سواء على المستوى المحلي أو على المستوى الدولي؛ ونستحضر في هذا السياق التاريخي الذي يوضح الإندماج بين الدول الديكتاتورية والإرتباط الوثيق بينها، حادثة انسحاب أدولف هيتلر من حفل تسليم الجوائز حينما فاز العداء الأمريكي ذو البشرة السوداء بإحدى المسابقات الرياضية، التي تدخل ضمن منافسات الألعاب الأولمبية التي أقيمت في برلين عام 1936م، وهذا ما يبين تاريخيا توظيف الفكر العنصري في دعم الديكتاتورية الألمانية ونظامها القائم خلال تلك المرحلة الهامة من تاريخ القرن العشرين الميلادي، وهو الواقع الذي ظهر أيضا في العمل على إقامة المقابلات الودية بين منتخبات الدول الديكتاتورية، خاصة مع منتخب اسبانيا في بداية عهد الجنرال فرانكو، بهدف رفع الحضر عنه وضمان التحالف معه ضد السوفييت ومن يسير في مسارهم السياسي والفكري (للمزيد من التفاصيل التاريخية حول هذه الاشكالية، راجع المقال العلمي التالي:

Manuel, Vazquez Laguna, **Francisco Franco : dictatura y futbol** ، وذلك على الرابط الإلكتروني الآتـــي: https://apuntesderabona.com/franco-dictadura-futbol/).

وفي هذا الإطار الذي يؤكد تدخل الفعل السياسي وتحكمه في الرياضة، نستدل بما جاء عند إدواردو كونزاليس كاليخا EDUARDO GONZÁLEZ CALLEJA من خلال ما مفاده أن: "النظام العسكري الإسباني في عهد فرانكو عمل على ترويج أطروحة قومية مرتبطة برياضة كرة القدم، والتي هدفت إلى زيادة توافق الإسبان واندماجهم مع الديكتاتورية" (Eduardo, Gonzalez Calleja, 2014 , 294)، وهذا ما يدل على أن لعبة كرة القدم تحولت في عهد الجنرال فرانكو إلى وسيلة فعالة للوصول إلى الجماهير ومحاولة خلق هوية وذهنية موحدة، وبالتالي تفادي النزعات الانفصالية التي تنامت في تلك الظرفية التاريخية الهامة، بمعنى آخر، توظيف الفعل الرياضي وشغف الجماهير الإسبانية بلعبة كرة القدم لتحقيق أهداف سياسة سواء على المستوى المحلي أو على المستوى الدولي.

وارتباطا بتداخل الفعل السياسي مع الفعل الرياضي، نستدل بمثال تاريخي آخر يتمثل في منع المنتخب الوطني الاسباني La Furia Roja[2] من الانتقال إلى مدينة موسكو السوفياتية، قصد لعب مباراة ضد الاتحاد السوفيتي بمناسبة بطولة أوروبا عام 1960 ميلادية، وهو ما حال دون مشاركة اسبانيا في هذه التظاهرة الدولية، إلا أنه وبعد مرور أربع سنوات، وفي ظـــل نسخة جديدة من هذه البطولة الأوروبية، استطاع المنتخب الإسباني التتويج بها أمام السوفييت، إذ لم يفوت نظام الجنرال فرانشيسكو فرانكو استغلال هذه المناسبة للدعاية لنظامه السياسي أمام أعداء ثورته؛ حيث اعتبرت هذه المباراة من قبل الجنرال مسألة حياة أو موت، إذ مرت في أجواء مشحونة مغلفة بالعداء التاريخي والفكري تجاه السوفيات، الذين دعموا الاشتراكيين وجيشهم المعارضين لفرانكو منذ بداية الحرب الأهلية، وهو ما جعل حدث الانتصار يتجاوز الميدان الرياضي ليصل إلى الدعاية (البروبغاندا) السياسية للنظام الاسباني، الذي لا يترك أي فرصة تمر دون استثمارها في الرفع من قيمة النظام، وتلميع صورته داخليا وخارجيا.

إضافة إلى ذلك، تحولت الرياضة الإسبانية إلى واجهة لدعم الحزب القانوني الوحيد: **"الكتائب الإسبانية"**، بل حتى اللجنة الأولمبية الإسبانية تجاهلت الميثاق الأولمبي الدولي، الذي يؤكد على استقلال اللجان عن الأنظمة السياسية (أنظر الصورة رقم: 01)، إلى جانب ذلك، هيمن الجنرالات الموالين لفرانكو على أبرز مناصب الهيآت المدبرة للرياضة الوطنية الإسبانية، حيث تم تعيين جميع المسيرين من بين الأشخاص المقربين من الدولة والمتحكمين في دواليبها.

[2] - **La Furia Roja :** هو اللقب الذي كان يطلق على الفريق الوطني الإسباني، ويمكن ترجمته إلى "الغضب الأحمر"، أي لون الفريق المفضل.

الصورة رقم: 01: الجنرال موسكاردو Moscardo (1878 – 1956) رئيس اللجنة الأولمبية الإسبانية.

Source : Ricardo, Romaniega García :
https://www.conquistalahistoria.com/historia-contemporanea/futbol-franquismo-

علاوة على ذلك، فمن مظاهر التدخل في الشؤون الرياضية من قبل السياسيين حدوث تحولات أخرى على مستوى الأندية، حيث انتقلت من اللعب في ملاعب كرة القدم القديمة إلى اللعب في ملاعب كبيرة أنشأت بدعم وإشراف ومراقبة من النظام الديكتاتوري الفرانكاوي، مما أسهم في حضور وتضاعف عدد الجماهير الشغوفة بكرة القدم، خاصة بعد فترة الحرب وتداعيات الصراع المرير حول السلطة بين الحزب الجمهوري الذي أُزيـــــــح عن الحكم والحزب الفرنكاوي الذي استحوذ عليه، وبذلك، أسهم شغف النظام الإسباني بلعبة كرة القدم إلى تحويل هذه اللعبة الرياضية لظاهرة اجتماعية لا غنى عنها، بل كانت بمثابة ظاهرة أسهمت في نمو الوعي الاجتماعي والسياسي المحظور في هذا البلد الأوروبي خلال مرحلة حكم الجنرال الديكتاتوري.

وفي هذا السياق الذي يوضح طبيعة العلاقة التاريخية بين السياسة والرياضة في البلاد الاسبانية خلال القرن العشرين الميلادي، فقد أدى ظهور الصحافة المطبوعة والإذاعة والتلفزيون إلى تقريب

المشهد بكل تجلياته ومفاهيمه من عموم الجماهير الإسبانية، حيث أصبحت الصحافة النافذة الوحيدة المفتوحة أمام الأفراد والجماعات في بلد مغلق، للهروب من الديكتاتورية الفرنكاوية والإشادة في الوقت نفسه بحرية التنافس والاختلاف، وذلك في أفق تحقيق السلام والديمقراطية التي يرجوها المجتمع إبان تلك المرحلة الهامة من تاريخ اسبانيا.

بمعنى آخر، إن هذا الارتباط بين الايديولوجية الفرانكاوية وكرة القدم، لم يكن ليستمر لــولا بروز ونمو وسائل الإعلام والصحف والمحطات الإذاعية خلال الخمسينيات من القرن الماضي؛ حيث أتاح هذا الواقع الجديد متابعة الجماهير الغفيرة لمباريات كرة القدم بعشرات الآلاف، وفي الوقت نفسه بناء مواقف وآراء أسهمت في تحقيق الوعي الفردي والجماعي بكل قضايا واشكالات الواقع الاسباني، الذي سيشهد عدة تحولات في مستقبل تلك الفترة التاريخية الهامة.

في ظـــل هذه البيئة التي أصبحت مهووسة برياضة كرة القدم، وتدخل السياسة في توجيهها والإشراف عليها، فقد نتج عن ذلك تسجيل عدة عيوب وأمور سلبية، حيث تدخل نظام فرانكو في جميع قرارات ودواليب الأندية والفرق الرياضية، علما أن بعضها وجد منذ مطلع القرن العشرون، أي قبل مجيء فرانكو إلى الحكم واندلاع الحرب الأهلية (1936م / 1939م). إلا أن الملاحظ، هو أن ردود فعل هذه الأندية ردود متباينة ومختلفة؛ فمنها من ركب الموجة وأصبح في صف النظام، ومنها من انتسب إلى الجهة المعارضة له، لذلك عانى العديد من لاعبي كرة القدم من القمع السياسي ...، الذي وصل إلى حد أن طلب النظام أن يكون هناك ما لا يقل عن اثنين من أفراد الحزب القانوني الوحيد: **"الكتائب الإسبانية"** في كل نادي من النوادي الاسبانية، بل وفرض عليها أيضا أداء الأغاني الفاشية الفرنكاوية قبل بدء المباريات، كما امتـد هذا التدخل الديكتاتوري ليشمل صنع وتحديد أسماء النوادي الاسبانية، وكمثال على ذلك تـم تحويـل اسم نادي Sporting de Gijón إلى اسم جديد هو Deportivo de Gijón **(**موقع:

conquista la historia : Ricardo, Romaniega García, **El fútbol durante el franquismo: mitos y : realidades :** https://www.conquistalahistoria.com/historia-contemporanea/futbol-franquismo-mitos-realidades#comments**)**.

اجمالا، فقد خلفت هيمنة نظام فرانكو على الميدان الرياضي (ممارسة كرة القدم)، وتوظيفه كدعاية وكعامل في خدمة السياسة والنظام الحاكم، العديد من الانعكاسات والنتائج، نذكر من بينها ما يلي:

- ✓ تحول فريق برشلونة إلى أحد أبرز المؤيدين للثقافة واللغة الكاتالونية؛ حيث بدأت المجلة الرسمية للنادي في استخدام اللغة الكاتالونية عوض الإسبانية، كما شيد النادي ملعبًا رائعًا بمساعدة فرانكو، وهنا نتساءل عن سبب هذا التحول الذي حدث من نظام الجنرال اتجاه إقليم كاتالونيا، علما أنه كان من أشد

المعارضين والمنتقدين له. إذ يمكن تفسير ذلك تاريخيا، بوجود فرق بين الوضعية السياسية والاجتماعية والفكرية قبل الحرب الأهلية (1936م / 1939م) وبعدها؛ فهدف فرانكو كان بالأساس إحقاق توجه ووحدة وطنية واحدة وموحدة، وذلك بغض النظر عن الاختلاف الحاصل على مستويات عدة بينه وبين مناطق أخرى من البلاد الإسبانية، فكان السبيل الناجع إلى تحقيق ذلك في ظل هذه الظروف الصعبة، يتمثل في تبني ونهج جميع الطرق والوسائل التي من شأنها أن تسهم في اضعاف الأحزاب الانفصالية، ومن بينها تحويل اهتمامات الجماهير الشعبية نحو الإهتمام بكرة القدم وتحقيق مطالبهم الرياضية (توفير التجهيزات وبناء الملاعب ...)، عوض انتقادهم ومعارضتهم للنظام السياسي القائم، وهذا ما يؤكد ويفسر التداخل الذي كان حاصلا وحتميا حدوثه في استحضار اشكالية الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية، وتأثير الرياضة في توجيهها بشكل أو بآخر في الدولة الاسبانية خلال القرن العشرين الميلادي.

✓ - ظهور أندية رياضية "مُعسكرة"[3]، ومن أوضح الأمثلة على ذلك، حالة نادي أتليتيكو أفياسيون Atlético Aviación، الذي نشأ بعد الإندماج بين القوات الجوية الوطنية والنادي الرياضي لمدريد (Ricardo, Romaniega García) ، وقد كان ذلك بعد موافقة ودعم الاتحاد الإسباني والنظام السياسي لهذه الخطوة، وهو ما مكن هذا الفريق فيما بعد من الحصول على البطولة الاسبانية أربع مرات خلال العقد الأول من حكم الجنرال فرانشيسكو فرانكو، وذلك قبل أن يغير اسمه ليصبح أتلتيكو مدريد Atlético de Madrid.

1 – 3) المنتخب الوطني الاسباني في خدمة نظام حكم الجنرال فرانشيسكو فرانكو:

إذا كان النظام السياسي لفرانكو قد استخدم فرق أندية كرة القدم الإسبانية لصالحه على المستوى الداخلي، فإن الفريق الوطني لإسبانيا تكلف بالمهمة نفسها على المستوى الخارجي أو الدولي، وذلك رغم حرمانه من المنافسة الدولية لمدة عقد من الزمن، بسبب الديكتاتورية التي ميزت نظام الحكم بهذا البلد الأوروبي خلال القرن العشرين الميلادي، وتدخله في أمور هذه اللعبة الرياضية، وهي المدة التي استغلها المنتخب الاسباني لإجراء العديد من المقابلات الودية مع الأنظمة الحليفة، مثل ايطاليا الموسولينية وفرنسا خلال عهد نظام حكومة فيشي، وألمانيا الفاشية بقيادة أدولف هتلر في مدينة برلين، مما أسهم في إحداث عدة تغييرات وتحولات طالت الفريق الوطني الإسباني، من قبيل استبدال اللون الأحمر باللونين

[3] - نعني بهذا المفهوم تلك الأندية الرياضية التي كان أغلب أعضائها المسيرين لشؤونها، يتكونون من الضباط العسكريين والأشخاص الموالون لنظام فرانكو، حيث نجحوا في تحقيق سيطرة كاملة على أمور فرق كرة القدم الاسبانية، وجعلها متوافقة في توجهاتها ومبادئها مع مخططات النظام السياسي القائم، وهو الوضع الذي كانت الفيفا تعارضه بشدة وإلى حدود اليوم.

الأزرق والأسود (أنظر الصورة أسفله، الصورة رقم: 02)، بالإضافة إلى تحسين وضعية لاعبي المنتخب الوطني بدنيا وماليا وتقنيا، قصد مضاهاة ومنافسة باقي الفرق الوطنية الأوروبية والعالمية.

الصورة رقم: 02: تشكيلة المنتخب الوطني الإسباني مطلع الخمسينات من القرن العشرين الميلادي (20م).
Source : https://www.panenka.org/euro-2016/espana-euro/fotos-con-color-de-eurocopa/attachment/espana-1964/

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنه سبق للفريق الاسباني قبل مجيء فرانكو إلى الحكم أن فاز بالميدالية الفضية (Ricardo, Romaniega García)، وهو الإرث الذي استخدمه هذا الجنرال بذكاء بعد مرور عشرون (20)عامًا؛ ففي سنة 1960م، بدأت إسبانيا في الانفتاح على العالم، ووضعت لذلك مخططا استراتيجيا لتحقيق التنمية رغم بعض العراقيل التي واجهتها من قبيل تحديات سنوات الفقر والحرمان ...، إذ استطاعت في هذه السنة إقامة أول بطولة للمنتخبات الأوروبية على الأراضي الإسبانية، إلا أنه برزت مشكلة كبيرة عندما اضطر فريق اسبانيا للعب مباراة ربع النهائي ضد فريق الاتحاد السوفيتي، حيث

قــرر الجنرال فرانكو في مجلس الوزراء عدم خوض هذا اللقاء، تجنبا لرفع العلم الشيوعي أو الجمهوري في الملعب الكبير بمدينة مدريد (ملعب البرنابيو)، وهكذا، وجد الفريق الوطني الاسباني نفسه دون إمكانية إكمال أطوار هذه البطولة وتمثيل البلد دوليا، وهو ما يدل على تأثير النظام السياسي على الأنشطة الرياضية والتحكم فيها، وذلك حسب طبيعة المصالح والأهداف الفرنكاوية والفاشية.

رغم انتكاسة الفريق الوطني الاسباني بسبب تدخل فرانكو، إلا أن ذلك لم يمنعه من البحث عن النجاح الرياضي وتعويض ما فات؛ فبعد أربع سنوات، أي في 21 يونيو سنة 1964، أقيمت الدورة الأخيرة من بطولة أوروبا الثانية في دولة إسبانيا مرة أخرى، حيث فازت بأول لقب دولي لها على أراضيها وبين جماهيرها، لكن أفضل هدية قدمها المنتخب الاسباني للجنرال، هو أن الفوز جاء على حساب الاتحاد السوفيتي، وقد ذكرت التحريات التي أوردتها الصحف الاسبانية أن فرانكو وجه تحذيرا لرئيس الاتحاد الإسباني لكرة القدم آنذاك (Benito Pico)، حينما خاطبه بالقول: "إنه لا يمكن السماح لإسبانيا بالخسارة على أرضها أمام الفريق الأحمر" (Ricardo, Romaniega García)، ولتحقيق ذلك، عزم على تحقيق الانتصار بجميع الوسائل والأشكال إلى درجة أن بعض الصحف أوردت أن الديكتاتور فكر في تسميم مياه الشرب، ولكن بما أن العملية كان بالإمكان أن تثير أزمة مع إحدى أهم القوى العظمى في ذلك الوقت، كان هناك حل واحد ووحيد هو: اللعب والفوز (أنظر الصورة أسفله، الصورة رقم: 03).

الصورة رقم: 03: فوز اسبانيا بأول كأس للأمم الأوربية سنة 1964.

Source : https://www.panenka.org/euro2020/las-finales-/de-la-euro-emosido-enganado

لقد شاهد آلاف المشجعين في الملعب الكبير لمدينة مدريد (ملعب سانتياغو برنابيو) وملايين الجماهير الإسبانية أهداف اللاعبين الإسبانيين بيريدا ومارسيلينو، مما منح إسبانيا فوزًا هاما بحصة هدفين مقابل هدف واحد، حيث لوح فرانكو بيديه في تعبير عن نشوته وفرحه بهذا الانتصار الرياضي والسياسي في الآن نفسه، خاصة عندما استلم قائد المنتخب الوطني الكأس من يد رئيس الاتحاد الأوروبي لكرة القدم جوستاف فيدركير.

وبذلك، يمكن القول أن الانتصار ببطولة أوروبا عام 1964م، كان تتويجًا للتحكم والدعاية التي قام بها نظام فرانكو اتجاه الرياضة الاسبانية، التي حقق بواسطتها عدة أهداف سياسية وايديولوجية، من أهمها الإنتصار على العدو والغريم الشيوعي (الاتحاد السوفياتي)، وهو الإنتصار الذي تزامن مع الانفتاح الاقتصادي والاجتماعي للبلاد الاسبانية، كما أن مشاهدة ملايين الناس في العالم لهذا الحدث الرياضي، وليس في إسبانيا فقط، أسهم إلى حد ما في تلميع صورة نظام الجنرال فرانشيسكو فرانكو ولو إلى حين.

2) تاريخ رياضة كرة القدم إبان فترة حكم الديكتاتور الجنرال فرانشيسكو فرانكو (1939م / 1975م):

يعتبر النادي الملكي لكرة القدم في اسبانيا نموذجا فريدا للمؤسسات الرياضية المتكاملة، حيث تحول مع مرور الوقت إلى مقاولة تجارية حقيقية ذات نفوذ وطني ودولي، وقد ارتبطت هذه الظاهرة الرياضية والتجارية الاستثمارية في الآن نفسه بالنجاحات التي حققتها ديكتاتورية الجنرال فرانكو (1939-1975)، وهو الذي ترأس وأشرف على الانتصارات الدولية الكبيرة للنادي الملكي، وهو ما ساعد على فهم الطبيعة الملتبسة لهذا الفريق الذي نشأ عقب زواج كاثوليكي بين الرياضة والسلطة السياسية.

1-2) الفريق الملكي الاسباني كوكيل لتصدير القومية والوحدة الإسبانية، ونفي أفكار ومفاهيم الانفصال ما بين 1939م و 1975م:

فضل الجنرال فرانكو المنتصر في الحرب الأهلية، الاعتماد على الرياضة باعتبارها أداة للتنشئة الثقافية والفكرية والاجتماعية، وأداة أيضا للدعاية الأيديولوجية والسياسية التي تخدم المصالح والأهداف التي كان النظام الاسباني يصبوا إلى تحقيقها وطنيا ودوليا خلال هذه الفترة التاريخية الهامة من القرن العشرين الميلادي (20م).

وقد كانت سنة 1939م (سنة انتصار فرانكو وانتهاء الحرب الأهلية) بلا شك هي السنة الأصعب في تاريخ الفريق الملكي، بسبب توقف شبه تام للأنشطة الرياضية داخل البلاد الإسبانية، بالإضافة إلى أنه

لم يعد أكبر الملاعب صالحا لممارسة هذه اللعبة الجماعية، إذ تحول إلى خـــراب ودمـــار، حيث استـُـــــغل كمعسكر للاعتقال وتصفية الحساب مع المعارضين للنظام، إلى جانب ذلك تعرض المقر الاجتماعي للنادي للتفجير والتخريب. وقد استمرت هذه الوضعية المزرية على المستوى الرياضي خلال الأربعينيات من القرن الماضي، باعتبارها سنوات الفقر من حيث الانجازات الرياضية، مقارنة مع ما حققته باقي الأندية البارزة في اسبانيا (بلباو، برشلونة، أتلتيكو مدريد).

إضافة إلى هذه الظروف، أدى التدخل السياسي لفرانكو في أنشطة كرة القدم الإسبانية إلى بروز عدة مشاكل أخرى، مثل الاصطدام الذي وقع في أعقاب مباراة النادي الملكي ضد فريق برشلونة في الدور قبل النهائي من كأس الجنرال فرانشيسكو فرانكو في شهر يونيو 1943، حيث انتهت المقابلة في ظروف مشحونة وبحصة كبيرة تم اعتبارها "**فضيحة**"(11-1 لفائدة الفريق الملكي) طالت سمعة وصورة الرياضة والسياسة الإسبانية.

ومع مطلع سنة 1953م، تعاقد الفريق الملكي مع اللاعب "دي ستيفـانـــو"، مما مهد لسلسلة من الإنجازات والانتصارات الوطنية (من الموسم الكروي: 1953 / 1954 إلى الموسم الكروي: 1957 / 1958) والدولية، مما أسهم في تعزيز الروابط مع نظام فرانكو وترسيخها، بالإضافة إلى الإسهام في تحسين وإشعاع صورة الدولة الإسبانية في علاقتها بباقي دول العالم، باعتبار النادي الملكي كان سفير إسبانيا فوق العادة، وذلك في وقت كان يعرف فيه هذا البلد الأوروبي تحولات عميقة خاصة على مستوى السياسة الخارجية؛ ففي أمريكا اللاتينية، وفي بعض المستعمرات الإسبانية الإفريقية، كان وصول النادي الأبيض يعتبر حدثا استثنائيا، استغله قناصل وسفراء اسبانيا لتعزيز وضعهم وموقعهم، خاصة السياسي سواء عند الجنرال فرانكو أو بين صفوف المهاجرين، وذلك في سعي إلى تلطيف الأجـواء مع جمعيات المنفى ومُـناضليها ضد الاحتلال والاستغلال الاستعماري، حيث دأبت السفارات والبعثات الدبلوماسية الإسبانية على تـرتيب حفلات استقبال خاصة لـرحلات الفريق الملكي (Eduardo, Gonzalez Calleja, 2014 , 289).

إن دلت هذه المعطيات على شيء، فإنما تدل تاريخيا على أن الفريق الملكي سمح طوعا ووعيا منه باستخدامه كوسيلة وكسفير غير رسمي للدولة الاسبانية، وذلك في سعي منه لتفادي إثارة أي صراع أو تنازع مع النظام السياسي وقادته (Duncan, Shaw, 1987, 44)، وقد اتصف النادي خلال هذه الفترة التاريخية بالروح الرياضية المثالية، وعرف كيف يسوق لصورة واسم اسبانيا في الخارج، وهو الهدف نفسه الذي كان يصبوا إليه النظام الفرنكاوي، الذي اجتهد في نشر صورة الفريق الملكي، الذي أصبح معيار ونموذج كرة القدم الأوروبية والعالمية، إلى درجة حدا ذلك بمجلة **Fotos** في أوائـــــل الستينيات

من القرن الماضي حتى تظهر بعنوان رئيس ومثير: "في الميادين التي لعب فيها مدريد لا تغـرب الشمس" (Eduardo, Gonzalez Calleja, 2014 , 290).

واستمرار في تناول الظروف التاريخية لتوظيف الفريق الملكي ضمن أجندة النظام السياسي لفرانكو، ففي بداية الستينيات من القرن العشرين الميلادي، كان هذا النادي الرياضي بلا منازع أو منافس حقيقي، فقد حقق نجاحات وشهرة عالمية كبيرة ومهمة، كما يتضح من خلال مضامين كتاب باللغة الانكليزية (Ramon Melcon, and Stratton Smith, 1961, 290).

هذه النجاحات الرياضية للفريق الملكي، استغلها النظام السياسي لنشر الأفكار القومية الإسبانية القديمة، خاصة وأن معظم الأعضاء والمنتسبين للنادي الملكي كانوا من ذوي الإديولوجيا الفرنكاوية؛ مما سمح لهم عن وعي باستغلالها لتحسين صورة إسبانيا في الخارج والدفاع عن مواقفها (Duncan, Shaw, 1987, 44)، وهي الحظوة التي سيستفيد منها النادي الملكي بشكل واضح ومهم؛ حيث استطاع تحقيق الفوز بكأس أبطال أوروبا خمس مرات متتالية، كما تمكن الفريق الأبيض أيضا من الفوز بأربعة عشر لقبًا للبطولة الاسبانية، مما عزز موقعه ووضعه باعتباره ركيزة أساسية بالنسبة للنظام السياسي. ومقابل ذلك، لم يتمكن فريق عاصمة كاطالونيا (برشلونة) الذي تم تصنيفه ضمن المناهضين للجنرال فرانكو، من الفوز سوى بست (06) بطولات رياضية، حيث حرص النظام بكل ما أوتي من قوة للحد من الأفكار والنزعات الانفصالية داخل البلاد، وهو ما ظهر بشكل جلي في تهميش اللغتين الكاتالانية والباسكية، كما اضطر فريق الباسك إلى تغيير اسمه إلى أتلتيكو دي بلباو، إلا أنها اجراءات لم تمنع الجماهير خاصة المرتبطة بكرة القدم للتعبير عن معارضتها وغضبها من نظام فرانكو الديكتاتوري.

ورغم الإشعاع المتزايد الذي شهده الفريق الملكي على المستوى الداخلي والخارجي، وانعكاس ذلك ايجابيا على إيراداته، فان تزايد مطلب استقطاب المزيد من اللاعبين، ومصاريف توسيع الملعب الرئيسي للنادي (ملعب بيرنابيو)، وتراجع الإيرادات المالية، وكذا إنشاء مدينة رياضية تم افتتاحها في سنة 1963م، سيؤدي إلى نتائج سلبية من أهمها تراكم الـديــون التي وصلت إلى 93.6 مليون بسيطة (العملة الاسبانية آنذاك) (Eduardo, Gonzalez Calleja, 2010, 16)، وبذلك، لم تنتهي هذه السنة (1963م) حتى كاد النادي مهدد بالإفلاس والانهيار الرياضي. وهو ما يفسر تاريخيا بدخول الفريق الملكي في سبات عميق دام أكثر من ثلاثة عقود من الزمن، وذلك ما بين حصوله على آخر كأس أوروبية سنة 1966م، وحصوله على التتويج نفسه فيما بعدها.

ومع مطلع السبعينات، تجددت مطالب الرأي العام والأندية الإسبانية على ضرورة منح فرص متكافئة لجميع الفرق دون تمييز أو تصنيف مقصود ومُـمنهج، والعمل على ضرورة وأهمية ابتعاد

السلطة عن أمور وشؤون جميع الفرق الرياضية، إلا أنه رغم ذلك لم يتوقف الشارع الإسباني عن تداول وتجديد الاتهام القديم للفريق الملكي بكونه "فريق النظام"، وكانت هذه الاتهامات من بين العوامل التي أسهمت في إدخال تحولات عميقة على مستوى الحكامة في تدبير شؤون النادي الملكي، الذي تراجع نفوذه الرياضي وتراجعت انجازاته، خاصة على المستوى الأوروبي، حيث تم معاقبته من قبل الاتحاد الأوروبي لكرة القدم في مارس 1976م، وذلك بعد حوادث العنف خلال مباراة نصف النهائي من كأس أوروبا ضد نادي بايرن ميونيخ الألماني. (مصدر أو مرجع هذه المعلومة)

2 – 2) تأثير النظام الديكتاتوري على مبادئ وأهداف المنظومة الرياضية الإسبانية:

معالجة هذه الاشكالية التاريخية، لن تتم إلا إذا تتبعنا مثلا مسار انجازات فريقي برشلونة والفريق الملكي طيلة فترة حكم الجنرال فرانكو (36 سنة)، حيث تبين لنا أن الفريق الثاني (الفريق الملكي) حصل على أربعة عشر (14) لقبا للبطولة الإسبانية، بينما لم يحصل الفريق الثاني (برشلونة) سوى على ثمانية (08) ألقاب، وهو الواقع التاريخي الذي يحيلنا إلى طرح تساؤل مفاده: هل هذا الفارق والتفوق مرتبط بشكل أساسي بقوة الفريق الملكي رياضيا؟، بعض الباحثين في تاريخ مسار الكرة الإسبانية يؤكدون على نقطة أساسية ومحورية، تتمثل في أن انتصارات الفريق الملكي ارتبطت بنجاحات نظام فرانشيسكو فرانكو، فالفريق الملكي لم يساهم فقط في الدعاية لهذا النظام السياسي، وإنما كذلك في إعادة بناء الجسور الديمقراطية، والديمقراطية هنا نفهمها ونوردها حسب المفهوم الفرنكاوي، وليس حسب المعنى الحقيق الذي تعنيه في الدول الأخرى وفي المعاجم العلمية .

إضافة إلى ذلك في سياق تفسير وتحليل التفوق الرياضي للفريق الملكي، هناك فرضية متداولة في ميدان كرة القدم عموما، مفادها أنه في ضل الأنظمة غير الديمقراطية، عادة ما يهيمن على البطولات الفريق المستفيد من عدة ظروف مناسبة ومواتية توفرها الدولة، وذلك على عكس الوضعية القائمة في الأنظمة الديمقراطية التي تكون فيها المنافسة شريفة، مما ينتج عنه تحقيق شبه توازن في عدد البطولات التي فاز بها كل فريق؛ ولتأكيد ذلك، ركز الباحثون على مسألة في غاية الأهمية، تتجلى في تأثير رجال السياسة في مسار رياضة كرة القدم، وذلك بتحليل نسبة البطولات التي فاز بها نفس الفريق أكثر من مرة في 47 دولة أوروبية (بما في ذلك اسبانيا)، وذلك طيلة السنوات الفاصلة ما بين سنة 1950 ميلادية وسنة2011 ميلادية، حيث توصلوا إلى أرقام ونسب مثيرة وملحوظة، ففي البلدان الديمقراطية يصل متوسط الفوز بالبطولة من طرف الفريق المهيمن على نسبة 40,75%، بينما في الأنظمة الدكتاتورية ترتفع النسبة لتبلغ 48,36 %.

في الواقع التاريخي الإسباني، وكما توصلت إليه هذه الدراسة العلمية، فقد تم استغلال رياضة كرة القدم من طرف الأنظمة الدكتاتورية (الفاشية، النازية، الشيوعية) للتأثير على الرأي العام المحلي والخارجي واستمالته، وبالتالي إبـراز مدى تفوق المبادئ التي تقوم عليها قراراتهم وأنظمتهم كيفما كان شكلها ومضمونها، وخاصة خلال مرحلة القطبية الثنائية؛ ففكرة رياضة كرة القدم، كانت مجالا تم استثماره وتوظيفه في الصراع بين الأيديولوجية الاشتراكية والايديولوجية الليبرالية، إذ يعتبر الحصول على العديد من الألقاب الرياضية معيار وميزان التفوق السياسي والثقافي في البلد، وهو ما كان يفرض اللجوء إلى حيل وطرق كيفما كان شكلها ومضمونها لبلوغ الأهداف المسطرة، من بينها وأهمها التأثير على قرارات الحكام وشراء اللاعبين وتهديدهم، بالإضافة إلى أن المسئولون والمكلفون بتسيير الفرق الرياضية، كان يتم تعيينهم من قبل النظام غير الديمقراطي للتحكم في دواليب وقرارات الفعل الرياضي، وتوجيهها لخدمة السياسة ونظام الحكم القائم.

ومن النتائج الأخرى التي توصل إليها الباحثون بخصوص هذه الاشكالية التاريخية، أنه في البلدان الشيوعية، كانت الآليات المستخدمة لتزوير المنافسات تبدو أكثر وضوحًا. ففي كافة بلدان أوروبا الشرقية، نجد حالة على الأقل لتمويل ودعم الجيش لنادي من النوادي الرياضية، حيث سمحت هذه الوضعية للقوات المسلحة باختيار أفضل ما في البلاد من لاعبين مميزين ينظمون لفريقها خلال مرحلة الخدمة العسكرية، بهدف تحقيق الفوز بأريحية وبمختلف الطرق المتاحة.

ولتأكيد ما تم التوصل إليه بخصوص هذه الاشكالية، نستحضر المنافسة الرياضية عند الدول التي تحولت إلى الديمقراطية منذ خمسينيات القرن الماضي (دراسة همت 13 بلدا)، حيث أسهم سقوط الأنظمة الديكتاتورية في إحداث بعض التوازن على المستوى الرياضي التنافسي، إذ لم يعد الفوز حليف الفرق نفسها المشاركة بشكل ممنهج ومدعوم في البطولات الوطنية، حيث أصبحت النتيجة المباشرة مثلا في اسبانيا هي أن الفريق الذي هيمن على البطولة خلال عهد الديكتاتورية، قد فقد هيمنته ونجاحه بشكل تدريجي بفضل ترسخ مبادئ النظام الديمقراطي.

بناء على ذلك، يمكن تفسير هذا التحول الرياضي بشكل واضح وملحوظ، بتوقف الصلة والعلاقة بين النظام الاستبدادي والفريق المهيمن على البطولات في السابق، ذلك أن التحول نحو الديمقراطية فرض على الحكومات توزيع الموارد المالية والبشرية بالتساوي، وفرض أيضا العمل على ضرورة تحقيق مفهوم المنافسة الشريفة بين جميع الفرق المتنافسة، ومن الأمثلة التي يمكن الاستئناس بها في هذا الإطار، أن الفريق الأكثر نجاحًا في تشيكوسلوفاكيا خلال المرحلة الاشتراكية، لم يتمكن من الفوز بمزيد

من البطولات بعد الانتقال إلى المرحلة الديمقراطية، بل انتهى به الأمر إلى الهبوط للأقسام الصغرى بعيدا عن دوري الصفوة والقوة.

خـــاتـمـــــة:

تأسيسا على ما سبق، يمكن القول أن رياضة كرة القدم في اسبانيا خدمت النظام السياسي للجنرال فرانشيسكو فرانكو، حيث شكلت أحد الأسس الداعمة لمفهوم الوطنية لبلد كسرت شوكته ظروف الحرب الأهلية (1936م / 1939م)؛ فقد عمل النظام الحاكم بهذا البلد الأوروبي خلال القرن العشرين (20م) على تشجيع الفرق التي لديها أكبر عدد من المشجعين، لاضطلاعها بدور هام في نشر وتأييد الفكر الفرنكاوي. كما أن النجاح الذي حققه المنتخب الوطني الإسباني، تم استغلاله وتسويقه لإبراز وإعطاء صورة وسمعة جيدة عن دولة إسبانيا في الخارج، وذلك من خلال مواجهة ومجابهة أعداء الفكر السياسي الإسباني وحلفائه من الأنظمة الحاكمة في قارة أوروبا، خاصة في كل من ألمانيا الفاشية وايطاليا الموسولونية، وهما الدولتين اللتين ساندتا بالخصوص ثورة الجنرال فرانشيسكو فرانكو ضد الجمهوريون ومساندیهم من السوفيات وغيرهم.

كما ظـــلـــت الملاعب في سياق دراسة اشكالية جدلية الفعل السياسي والفعل الرياضي إبان عهد فرانشيسكو فرانكو (1939م / 1975م)، فضاء عـبـــر فيه الإسبان عن مختلف مشاعرهم وهمومهم وقضاياهم، سياسية كانت أو اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية، وهو ما أسهم في إحداث وعي فكري نتج عنه تحول الأفراد والجماعات من دعـم نظام حكم الجنرال فرانكو، إلى الاصطفاف ضمن دائرة المعارضة التي طالبت بالحرية والتغيير، الذي تحقق في مستقبل تلك الفترة الهامة من تاريخ اسبانيا.

النـتـائـج الـتـي تـوصـلـت إلـيـهـا الـدراسـة

أفضى هذا المقال حول موضوع تاريخ العلاقة بين الفعل السياسي والفعل الرياضي إبان عهد فرانشيسكو فرانكو (1939م / 1975م)، إلى الوصول إلى نتيجتين علميتين، نوردها على الشكـــل الـتـالـــي:

- غياب وقلة الدراسات التاريخية، خاصة الدراسات العربية تبين أنها لم تولي اهتماما واضحا لدراسة اشكالية تأثير النظام السياسي في شؤون الرياضة الاسبانية، وبالضبط التأثير الذي لحق لعبة كرة القدم في القرن العشرين الميلادي إبان فترة حكم الجنرال فرانشيسكو فرانكو (1939م / 1975م)، وبالتالي فمن الضروري ومن الأهمية العلمية، أن يعمل الباحثين خاصة في البلدان المغاربية في سياق تتمين

التاريخ المشترك مع اسبانيا، على البحث في هذا الموضوع والتوسع فيه، وإغناء المكتبة التاريخية بالمزيد من الأبحاث العلمية والثقافية والفكرية التي من شأنها تحقيق التنمية في مدلولها العام والشامل.

- أما بخصوص النتيجة الثانية والأخيرة التي تم التوصل إليها انطلاقا من مضامين هذه الدراسة، فتتمثل في أنه مازالت آثـــــار التاريخ السياسي لعهد الجنرال فرانشيسكو فرانكو (1939م / 1975م)، تؤثر بشكل أو بآخر في ممارسة العديد من الأنشطة الرياضية التي تقام في دولة اسبانيا إلى حدود اليوم؛ خاصة عندما يلتقي الفريق الملكي إما بالكطلانيين أو بالباسكيين، سواء في لقاءات كرة القدم أو غيرها؛ حيث تعمدُ الجماهير باختلاف انتمائها وميولها الرياضي، إلى ربط وتفسير انتصار أو خسارة فريقها، وتعدد البطولات المتحصل عليها منذ نهاية الحرب الأهلية (1939م)، بالظروف المصاحبة لهذا الحدث السياسي وسياقه التاريخي، وهو ما يفتح المجال للنقاش بين أفراد وجماعات المجتمع الاسباني، حيث يتم استحضار وتحليل اشكالية ثنائية الفعل السياسي والفعل الرياضي عبر التاريخ إلى اليوم كل حسب توجهاته وقناعاته.

تـــوصيـــات الـــدراســـة التاريخية

أفضت دراسة اشكالية تاريخ اسبانيا من خلال جدلية الفعل السياسي والفعل الرياضي إبان عهد فرانشيسكو فرانكو (1939م / 1975م)، إلى أهمية استحضار توصية علمية واحدة، تتمثل في ضرورة العمل على إعادة كتابة التاريخ الإسباني في جزئياته وعمومياته انطلاقا من الدراسات العربية؛ وذلك من خلال اهتمام الباحثين والمثقفين به، خاصة في البلدان المغاربية التي لها روابط ثقافية مشتركة مع الدولة الاسبانية، سواء خلال الفترة الاستعمارية أو قبلها أو بعدها، ولن يتأتى ذلك إلا بضرورة الانفتاح واستثمار الكتابات الأجنبية والاسبانية على وجه الخصوص، دون إهمال الاستعانة بوثائق وتقارير الأرشيفات الاسبانية لتقصي أحداث وظروف تدخل الجنرال فرانكو في شؤون وأمور تسيير رياضة كرة القدم، التي عمل على توظيفها لتحقيق أهدافه السياسية خلال القرن العشرين الميلادي، وصولا إلى فهم مسألة تأثير هذا التاريخ السياسي والتاريخ الرياضي لإسبانيا في عقلية وذهنية وتفكير أجيال اليوم في البلاد المغاربية، بما فيها بلاد المغرب الذي كان جنوبه وأقصى شماله مجالات تعرضت للاستعمار والاستغلال الاسباني.

المـراجـع

- الأهـواني، أحمد فؤاد، (1938)، **"الحرب الإسبانية"**، مطبعة دار النشر، مصر، الطبعة الأولى.
- خوليان، كازانوفا، (2017)، **"الحرب الأهلية الاسبانية"**، ترجمة: عمر التـل، نشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى.
- زيادة، طارق، (1986)، **"صفحات من الحرب الاهلية الاسبانية"**، الناشر : جروس برس، طرابلس، لبنان، الطبعة الأولى.
- Duncan, Shaw, (1987), "**Fútbol y franquismo",** Editores**:** Alianza, Madrid, España.
- Eduardo, Gonzalez Calleja, (mar.2010 / jun.2010), "**El Real Madrid, ¿"Equipo del Régimen"? Fútbol y política durante el Franquismo",** Esporte e Sociedade, ano 5, n.14.
- Eduardo, GONZÁLEZ CALLEJA, (2014), "**El Real Madrid, ¿"equipo de España"? Fútbol e identidades durante el franquismo"**, Política y Sociedad, Vol 51, Núm. 2 , Universidad Carlos III de Madrid.
- Raffaelli, Verónica, (2017), "**Otro espacio de lucha. El fútbol en España durante la II República y la Guerra Civil"**, XVI Jornadas Interescuelas / Departamentos de Historia. Departamento de Historia, Facultad Humanidades. Universidad Nacional de Mar del Plata, Mar del Plata.
- Ramon, Melcon, and Stratton, Smith, (1961), "**The Real Madrid Book of Football"**, Published by Souvenir Press, First Edition.

الاعتماد على دراسات ومواضيع على الروابط العلمية التالية:

- Manuel, Vazquez Laguna, "**Francisco Franco : dictatura y futbol":**

https://apuntesderabona.com/franco-dictadura-futbol/

- Ricardo, Romaniega García, "**El fútbol durante el franquismo: mitos y realidades":**

https://www.conquistalahistoria.com/historia-contemporanea/futbol-franquismo-mitos-realidades#comments

- https://www.conquistalahistoria.com/author/ricardo-romaniega

- https://www.panenka.org/euro-2016/espana-euro/fotos-con-color-de-eurocopa/attachment/espana-1964/
- https://www.conquistalahistoria.com/historia-contemporanea/futbol-franquismo-mitos-realidades.

- https://www.panenka.org/euro2020/las-finales-de-la-euro-emosido-enganado/